العدد 1612 - السنة السادسة
الإثنين 6 رمضان 1434 - الموافق 15 يوليو 2013
Monday 15 July 2013 - No.1612 - 6th Year

فضائل شهر الصيام

لقد خص الله شهر رمضان عن غيره من الشهور بكثير من الخصائص والفضائل، منها:
1 – خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.
2 – تستغفر الملائكة للصائمين حتى يفطروا.
3 – يزين الله في كل يوم جنته ويقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ثم يصيروا إليك.
4 – تُصفد فيه الشياطين.
5 – تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار.
6 – فيه ليلة القدر هي خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم الخير كله.
7 – يغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.
8 – لله عُتقاء من النار ، وذلك كل ليلة في رمضان.

حاجة الناس إلى التأمل لها أهمية قصوى في ثلاثة أبعاد فكرية ونفسية واجتماعية

رمضان شهر المراجعات الذاتية والدعوة إلى مكاشفة النفس

لو تأمل كل إنسان في ذاته، واستقرأ حياته وأوضاعه، لوجد أن له أفكاراً يتبناها، وصفات نفسية وشخصية يحملها، وسلوكاً معيناً يمارسه، وأنه يعيش ضمن وضع وقالب يؤطر حياته الشخصية والاجتماعية.

والسؤال الذي يجب أن يطرحه الإنسان على نفسه هو: هل هو راض عن الحالة التي يعيشها؟ وهل يعتبر نفسه ضمن الوضع الأفضل والأحسن؟ أم أنه يعاني من نقاط ضعف وثغرات؟ وهل أن ما يحمله من أفكار وصفات، وما يمارسه من سلوك، شيء مفروض عليه لا يمكن تغييره أو تجاوزه؟ أم أنه إنسان خلقه الله حراً ذا إرادة واختيار؟

إن هذه التساؤلات كامنة في نفس الإنسان، وتبحث عن فرصة للمكاشفة والتأمل، يتيحها الإنسان لنفسه، لينفتح على ذاته، وليسبر غورها، ويلامس خباياها و أعماقها.

ورغم حاجة الإنسان إلى هذه المكاشفة والمراجعة، إلاّ أن أكثر الناس لا يقفون مع ذاتهم وقفة تأمل وانفتاح؛ لأسباب أهمها ما يلي:

أولا: الغرق في أمور الحياة العملية، وهي كثيرة، ما بين ماله قيمة وأهمية، وما هو تافه وثانوي.

ثانيا: وهو الأهم، أن وقفة الإنسان مع ذاته، تتطلب منه اتخاذ قرارات تغييرية بشأن نفسه، وهذا ما يتهرب منه الكثيرون، كما يتهرب البعض من إجراء فحوصات طبية لجسده، خوفاً من اكتشاف أمراض تلزمه الامتناع عن بعض الأكلات، أو أخذ علاج معين.

دعوة إلى مكاشفة الذات:

في تعاليم الإسلام دعوة مكثفة للانفتاح على الذات ومحاسبتها، بعيداً عن الاستغراق في الاهتمامات المادية، والانشغالات الحياتية، التي لا تنتهي، فقد ورد في الأثر: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا).

إن لحظات التأمل ومكاشفة الذات، تتيح للإنسان فرصة التعرف على أخطائه ونقاط ضعفه، وتدفعه لتطوير ذاته نحو الأفضل، فثمرة المحاسبة إصلاح النفس.

ولعل من أهداف قيام الليل، حيث ينتصب الإنسان خاشعاً أمام خالقه، وسط الظلام والسكون، إتاحة هذه الفرصة للإنسان.

وكذلك فإن عبادة الاعتكاف قد يكون من حكمتها هذا الغرض، والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد العبادة، لثلاثة أيام أو أكثر مع الصوم، بحيث لا يخرج من المسجد إلا لحاجة مشروعة.

ولا يوجد شهر آخر يماثل شهر رمضان في هذه الخاصية، فهو خير شهر يقف فيه الإنسان مع نفسه متدبراً متأملاً، ففيه تتضاعف الحسنات، وتمحى السيئات كما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الشهر فرصة عمر كبرى للحصول على مغفرة الله فـ (إن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم) كما في الحديث النبوي، وقد يغفل البعض عن أن حصول تلك النتائج هو بحاجة إلى توجه وسعي.

فهذا الشهر ينبغي أن يشكل شهر مراجعة وتفكير وتأمل ومحاسبة للنفس، إذ حينما يمتنع الإنسان في هذا الشهر الكريم عن الطعام والشراب، وبقية الشهوات التي يلتصق بها يومياً، فإنه يكون قد تخلص من تلك الانجذابات الأرضية، مما يعطيه فرصة للانتباه نحو ذاته ونفسه، وتأتي تلك الأجواء الروحية التي تحث عليها التعاليم الإسلامية، لتحسّن من فرص الاستفادة من هذا الشهر الكريم، فصلاة الليل مثلاً فرصة حقيقية للخلوة مع الله، ولا ينبغي للمؤمن أن يفوت ساعات الليل في النوم، أو الارتباطات الاجتماعية، ويحرم نفسه من نصف ساعة ينفرد فيها مع ربه، بعد انتصاف الليل، وهو بداية وقت هذه الصلاة المستحبة العظيمة، وينبغي أن يخطط المؤمن لهذه الصلاة، حتى تؤتي بأفضل ثمارها ونتائجها، فيؤديها وهو في نشاط وقوة، وليس مجرد إسقاط واجب أو مستحب، بل يكون غرضه منها تحقيق أهدافها قال عز وجل: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا).

قراءة القرآن وصلاة التراويح من أهم المراجعات الذاتية للنفس في رمضان

وقراءة القرآن الكريم والتي ورد الحث عليها في هذا الشهر المبارك، فهو شهر القرآن يقول تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وفي الحديث الشريف: (لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان) هذه القراءة إنما تخدم توجه الإنسان للانفتاح على ذاته، ومكاشفتها وتلمس ثغراتها وأخطائها، لكن ذلك مشروط بالتدبر في تلاوة القرآن، والاهتمام بفهم معانيه، والنظر في مدى الالتزام بأوامر القرآن ونواهيه.

إن البعض من الناس تعودوا أن يقرأوا ختمات من القرآن في شهر رمضان، وهي عادة جيدة، لكن ينبغي أن لا يكون الهدف طي الصفحات دون استفادة أو تمعن.

وإذا ما قرأ الإنسان آية من الذكر الحكيم، فينبغي أن يقف متسائلاً عن موقعه مما تقوله تلك الآية، ليفسح لها المجال للتأثير في قلبه، وللتغيير في سلوكه، ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت».

وبذلك يعالج الإنسان أمراض نفسه وثغرات شخصيته فالقرآن شفاءٌ لما في الصُّدُور).

والأدعية المأثورة في شهر رمضان، كلها كنوز تربوية روحية، تبعث في الإنسان روح الجرأة على مصارحة ذاته، ومكاشفة نفسه، وتشحذ همته وإرادته، للتغير والتطوير والتوبة عن الذنوب والأخطاء. كما تؤكد في نفسه عظمة الخالق وخطورة المصير، وتجعله أمام حقائق وجوده وواقعه دون حجاب.

مجالات التأمل الذاتي

إن حاجة الإنسان إلى التأمل والمراجعة لها أهمية قصوى في أبعاد ثلاثة:

البعد الأول: المراجعة الفكرية

أن يراجع الإنسان أفكاره وقناعاته، ويتساءل عن مقدار الحق والصواب فيها، ولو أن الناس جميعاً راجعوا أفكارهم وانتماءاتهم، لربما استطاعوا أن يغيروا الأخطاء والانجرافات فيها، غير أن لسان حال الكثير من الناس (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) وليكن الإنسان حراً مع نفسه، قوياً في ذاته، إذا ما اكتشف أنه على خطأ ما، فلا يتهيب أو يتردد من التغيير والتصحيح.

البعد الثاني: المراجعة النفسية

أن يراجع الإنسان الصفات النفسية التي تنطوي عليها شخصيته، فهل هو جبان أم شجاع؟ جريء أم متردد؟ حازم أم لين؟ صادق أم كاذب؟ صريح أم ملتو؟ كسول أم نشيط؟.. الخ. وليطرح الإنسان على نفسه عدداً من الأسئلة التي تكشف عن هذا البعد، مثل: ماذا سأفعل لو قصدني فقير في بيتي؟ ماذا سأفعل لو عبث الأطفال بأثاث المنزل؟ ماذا سأفعل لو حدث أمامي حادث سير؟ وكيف سيكون رد فعلي لو أسيء إلي في مكان عام؟ وكيف أقرر لو تعارضت مصلحتي الشخصية مع المبدأ أو المصلحة العامة؟

وتأتي أهمية هذه المراجعة في أن الإنسان ينبغي أن يقرر بعدها أن يصلح كل خلل نفسي عنده، وأن يعمل على تطوير نفسه، وتقديمها خطوات إلى الأمام.

البعد الثالث: المراجعة الاجتماعية والسلوكية

أن يراجع الإنسان سلوكه وتصرفاته مع الآخرين، بدءاً من زوجته وأطفاله، وانتهاءً بخدمه وعماله، مروراً بأرحامه وأصدقائه، وسائر الناس، ممن يتعامل معهم أو يرتبط بهم.

وهذا الشهر الكريم هو خير مناسبة للارتقاء بالأداء الاجتماعي للمؤمن، ولتصفية كل الخلافات الاجتماعية، والعقد الشخصية، بين الإنسان والآخرين، وقد حثت الروايات الكثيرة على ذلك، إلى حد أن بعض الروايات تصرّح: بأن مغفرة الله وعفوه عن الإنسان يبقى مجمداً فترة طويلة، حتى يزيل ما بينه وبين الآخرين من خلاف وتباعد، حتى وإن كانوا هم المخطئين في حقه، وحتى لو كان أحدهما ظالماً والآخر مظلوماً فإنهما معاً يتحملان إثم الهجران والقطيعة، إذ المظلوم منهما يتمكن من أن يبادر لأخيه بالتنازل وإزالة الخلاف، فما أوضحها من دعوة للمصالحة الاجتماعية، وما أعظمها من نتيجة لو تحققت خلال هذا الشهر الكريم، وما أكبر منزلة تلك القلوب التي تستطيع أن تتسامى على خلافاتها، وتتصالح في شهر القرآن، من أجل الحصول على غفران الله؟ من هنا يحتاج الإنسان حقاً إلى قلب طاهر متزكي، ونية خير صادقة، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة.

من جانب آخر فقد تسيطر على الإنسان بعض العادات والسلوكيات الخاطئة، ومهما كان عمقها في نفس الإنسان، والتصاقه بها، فإن الإرادة أقوى من العادة، وشهر رمضان أفضل فرصة لنفض وترك العادات السيئة الخاطئة.

فهنيئاً لمن يستفيد من أجواء هذا الشهر المبارك في المكاشفة مع ذاته، وإصلاح أخطائه وعيوبه، وسد النواقص والثغرات في شخصيته، فيراجع أفكاره وآراءه، ويدرسها بموضوعية، ويتأمل صفاته النفسية ليرى نقاط القوة والضعف فيها، ويتفحص سلوكه الاجتماعي، من أجل بناء علاقات أفضل مع المحيطين به.

وبهذه المراجعة والتراجع عن الأخطاء، يتحقق غفران الله تعالى للإنسان في شهر رمضان، أما إذا بقي الإنسان مسترسلاً سادراً في وضعه وحالته، فإنه سيفوّت على نفسه هذه الفرصة العظيمة، وسينتهي شهر رمضان، دون أن يترك بصمات التأثير في شخصيته وسلوكه، وبالتالي فقد حرم نفسه من غفران الله تعالى، وحقاً أن من لا يستفيد من هذه الفرصة ولا يستثمر هذه الأجواء الطيبة يكون شقياً.

رمضان فرصة لارتداء الحجاب

يشكل حجاب المرأة بالنسبة لكثير من الناس معضلة من معضلات العصر الكبرى؛ فقد انقسمت الآراء إزاء هذا الموضوع إلى قسمين: قسم معاد للحجاب يعتبره عائقاً في طريق تقدم المرأة وحريتها وإنسانيتها، وقسم ينظر إليه نظرة شرعية لا مجال لرفضها أو إبداء الرأي فيها.

ويرى أنصار الفريق الأول أن الحجاب إنما هو مقرون بفترة زمنية محددة، انتهت مع انتهاء عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة والتابعين من بعده، إضافة إلى كونه لا يُعتبر فرضاً على نساء المسلمين كافة بل هو يختص بنساء النبي عليه الصلاة السلام، ويقولون: إن عدم ارتداء الحجاب ليس من الكبائر التي تدخل النار، بل هو من صغائر اللمم التي يعفو عنها الله سبحانه وتعالى.

أما أنصار الفريق الثاني فهم أيضاً ينقسمون إلى فئتين: الفئة الأولى أيقنت بما جاء به الإسلام، والتزمت الحجاب عملاً بقول الله سبحانه وتعالى : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» (الأحزاب: 36).

أما الفئة الثانية، وهم المعنيون بهذا المقال، فهم يترددون في الالتزام بأوامر الله عز وجل، ويعجزون عن تطبيق أحكامه الشرعية، والأسباب في ذلك متنوعة، منها:

1 – ضعف الإيمان بالله سبحانه وتعالى: إذ إن الإيمان لا يكون فقط إيماناً بالقلب بل هو «اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان»: فالمرأة التي تقول عندما تُسأل: لماذا لا تتحجب؟ «الله لم يهدني بعد، الله يهديني»، إنما تجهل معنى الإيمان ومعنى الهداية: فالهداية لا تكون إلا بعد الأخذ بالأسباب عن طريق اتباع الحق الذي أرشد إليه الله عز وجل عباده في القرآن الكريم والسنة النبوية، وإصلاح النفس: عندئذ يحدث التغيير وهداية التوفيق من الله عز وجل القائل: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد: 11).

ومثال على هذا الالتزام ما ذكرته كتب الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» شققن مروطهن واختمرن بها» (البخاري).

فإنهن لم يتباطأن بل التزمن بأوامره عز وجل، مؤمنات بفرضيتها وراجيات الأجر والثواب عليها.

2 – الجهل بأحكام الدين الإسلامي: فقد فرض الحجاب على المؤمنات بقوله عز وجل: «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» (النور: 31).

فالخُمُر في اللغة جمع خِمار، وهو غطاء الرأس، والجيوب: جمع جيب، وهو فتحة الصدر من القميص ونحوه؛ فهذه الآية واضحة في فرضها للحجاب على المرأة المؤمنة، إلا أن للبيئة العامة المحيطة بالمرأة أثرها البالغ في جهلها بأحكام دينها، وتتنوع هذه البيئة بين البيت والمدرسة.. كما أن لشهوات النفس الأمارة بالسوء دورها في تنفير المرأة من العلم، وترغيبها في الاختلاط والسفور والإباحية في اللباس والتصرفات التي يحرمها الشرع، والتي يشكل الالتزام بالحجاب عائقاً في طريقها.

3– ارتباط مفهوم الحجاب بمغالطات فكرية ناجمة عن عادات وتقاليد ومفاهيم خاطئة كثيراً ما تمس العقيدة الصحيحة، وتؤدي إلى الوقوع في المخاوف والهواجس المتعددة، ومن هذه المغالطات:

أ– أن الحجاب يكون في الكبر، وبعد أن تبلغ المرأة سناً معينة، وتزوج أبناءها، حينئذ تتفرغ لنفسها فتحج، وتتحجب وتلتزم عبادة ربها... وكأنها على علم مسبق بمدة انتهاء الأجل، أو كأنها على يقين أنها في تلك الفترة ستقدر على عبادة لم تعتدها، أو أنها ستقوم بما لم تقم به من قبل، وصدق المثل الذي يقول: «من شبّ على شيء شاب عليه».

ب– أنّ الحجاب يقف في طريق سعادة الفتاة التي تنتظر الزواج؛ فالخاطب يفضل الفتاة السافرة على المحجبة، ولو كان ملتزماً في بعض الأحيان؛ فهو يأمل أن يحجبها بعد الزواج، ويكسب بها أجرا! وهذا الأمر، وإن كان يحصل في بعض الحالات.. فإنه لا يعتبر قاعدة عامة. وعلى المرأة التي ترغب في الزواج أن تعلم أن «الطيور على أشكالها تقع»، وأن عدم التزامها سيجعلها عرضة لنوعية من الخطاب الذين لا يتمتعون بالمستوى الإيماني المطلوب؛ تنفيذاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (رواه الترمذي).

ج– إن الحجاب يمنع المرأة من إيجاد عمل بعد تخرُّجها؛ إذ إن كثيرًا من المؤسسات ترفض توظيف المرأة المحجبة، وإذا صادف أن شاءت إحدى الموظفات الالتزام فإن مصيرها قد يكون الطرد. وهذا الأمر وإن كان يحصل في بعض المؤسسات، وعند بعض الأشخاص الذين يسعون وراء المغريات التي تقدمها العاملة لديهم؛ فإن على المسلمة التي ترغب في الالتزام بالحجاب أن تتأكد أن الحجاب لا يمكن أن يكون عائقاً أمام طلب الرزق؛ فكم من فتيات غير محجبات لا يجدن عملاً؟

والتأخير في إيجاد العمل إنما هو من قضاء الله، وابتلاء من الله عز وجل لمعرفة صدق اليقين عند المرأة، وحينئذ لا بد أن يكون هذا العمل عند الشخص المناسب وفي المكان المناسب؛ فالشخص الذي يختار المرأة المحجّبة لتعمل عنده؛ فهو إنما يبحث عن الكفاءة كما أنه يؤمن بالطريق الذي اختارته تلك الفتاة كمنهج لحياتها.

د– إن فكرة الالتزام بالحجاب تصطدم في بعض الأحيان مع هواجس ومخاوف متنوعة؛ فبعض النساء يخفن من مواجهة أهلهن بهذه الرغبة؛ لعلمهن المسبق برفض الأهل لهذه الخطوة، أو لخوفهن من مواجهة محيطهن الخارجي الذي يستهزئ بالحجاب ومن يرتديه، ويعتبره ظاهرة غير حضارية، وهو دليل تخلف وتراجع، وإلى هذه المرأة نقول: تذكري أختي المؤمنة قول رسول لله صلى الله عليه وسلم : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (رواه الترمذي)، وتذكري أن عدم التزامك تحت هذه الحجة لن يرفع عنك الإثم؛ لقول الله عز وجل: «كل نفس بما كسبت رهينة» (المدثر: 38).

فبادري إلى الالتزام بأوامر الله عز وجل، وأحسني التوكل عليه؛ فهو القائل: «فإذا عزمت فتوكل على الله» (آل عمران: 159). وهو القائل: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» (الطلاق: 3)، فلا بد أن يمدك بالعون في مهمتك؛ لأن قلوب البشر بين يديه، فهو القادر على تحويل الرفض إلى قبول، وتحويل المعصية إلى طاعة.

أما المستهزئون ممن حولك فتذكري قول الله عز وجل فيهم: «ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة» (البقرة: 212).

هـ– أن الحجاب يفقد المرأة الأناقة التي تحرص عليها كثير من النساء؛ فهن يعتبرن أن الحجاب يفقدهن جمالهن، ويجعلهن يظهرن أكبر من سنهن الحقيقية. وإلى هؤلاء نقول كما قال تعالى: «قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم» (الجمعة: 8).

وصدق الشاعر الذي يقول:

وزائرة للشيب لاحت بمفرقي
فبادرتها خوفاً من الحتف بالنتف
فقالت: على ضعفي استطعت ووحدتي رويدك حتى يلحق الجيش من خلفي ونقول أيضا: إن الإسلام لم يمنع الزينة والتبرج عن المرأة بشكل كلي، بل هو خصّهما بالزوج، ومنعهما عن أعين المتطفلين العابثين، الذين يسعون إلى الفتنة والفساد في الأرض، ولا أخال امرأة عاقلة تسعى إلى كسب اهتمام مثل هؤلاء الأشخاص.

وختاماً: فإن أسباب عدم الالتزام بالحجاب متنوعة ومتعددة، وهي تختلف من امرأة إلى أخرى، تبعاً لنفسية وظروف كل واحدة، وإن كانت في أغلب الأحيان ناتجة عن اتباع الهوى الذي نهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى × فإن الجنة هي المأوى» (النازعات: 40.41).

الحجاب لا يعيق تطور المرأة وحريتها

د. نهى قاطرجي